

بيث نهريين (Mesopotamia) تسميتها موقعها حدودها

د: هنري بدروس كيفا ... باريس فرنسا

أولاً : موقعها الجغرافي

ثانياً : التسمية الأكادية القديمة

ثالثاً : التسمية اليونانية mesopotamia

رابعاً : التسمية السريانية بيث نهريين.

خامساً : اشكالات المصطلح الجغرافي الحديث لتسمية (بيث نهريين) .

لقد درجت العادة على ترجمة بيث نهريين الآرامية إلى بلاد ما بين النهرين باللغة العربية . ويقصد بالنهرين طبعاً ، دجلة والفرات ، وقد أخذ العرب بهذا المفهوم من العلماء الأوروبيين الذين اصطلحوا ، في أوائل هذا القرن ، على استعمال تسمية : بمعنى يشمل العراق الحالي ومحافظة الجزيرة في سوريا وقسماً من تركيا الشرقية . كتب العالم contenaul عن التسمية : " هذه التسمية mesopotamia هي بفضل pottier الذي كان يدرس في معهد اللوفر في بداية هذا القرن . وكان قد تبناها خلال محاضراته ، بسبب ما وجده من مشترك بين حضارة السومريون وحضارة الساميين الذين جاؤوا بعدهم ، ونشرها بقصد التسمية في كتاباته....."

وفي بحثنا هذا سنتعرف إلى القرائن الثابتة التي تؤكد عدم وجود أي علاقة (2) ما بين سومر وآكاد وبيث نهريين على الفرات . وأن هذا الاصطلاح الجديد قد أدى إلى أخطاء تاريخية وجغرافية وقومية ، سوف نعالجها في هذا البحث .

أولاً : موقعها الجغرافي : قد يتعجب القارئ من أن تسمية بيث نهريين قد أطلقت على المنطقة الواقعة ما بين نهري الفرات ورافده الخابور . وفعلاً فإن المصادر السريانية واليونانية تذكر دائماً المدن التالية : أورهاي ، حران ، بطنان ، الرقة ، ضمن بيث نهريين . وفي المقابل لا يوجد أي نص يذكر بلاد بابل وآكاد بأنها تقع في بيث نهريين . وهذا ما دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن بيث نهريين هي البلاد الواقعة ما بين نهر الفرات ورافده البليخ ، والبعض الآخر ما بين نهر الفرات ورافده نهر الخابور . أي المنطقة التي عرفت بآرام نهريين التي ورد ذكرها مراراً بالتوراة .

نشر العالم callaghan.o.r سنة 1948 ، كتاباً بعنوان : aram nhraim ، كتب فيه عن جغرافية misopotamia³ بأنها تقع بين نهري دجلة والفرات ، ويجدها جنوباً الخليج العربي . والغريب في الأمر ان هذا العالم استشهد بالآثار والكتابات المصرية القديمة (4) حيث وردت مرات عدة تسمية nhrn المصرية وهي تشير إلى البلاد الواقعة شرقي نهر الفرات الأوسط حيث كانت دولة الميتاني . وطبعاً فإن تسمية nhrn المصرية لم تكن تعني بلاد سومر وآكاد . ربما لهذه الأسباب يضع العالم : callaghan.o.r في اسفل عنوان كتابه هذا الشرح : "محاولة لدراسة تاريخ mesopotamia العليا في الألف الثاني قبل الميلاد "

يعتقد callaghan.o.r أن التسمية الكنعانية nahraim والتسمية العبرية --- nahraim nahraim تعني ازدواجية الأنهر (5) ، إلا أنه لم يقدم براهين قاطعة في هذا الشأن . غير أننا نرى لاحقاً أن العالم finkelstein يؤكد بأن هذه الأسماء تعني نهراً مفرداً (الفرات) . نشأت في بيث نهريين عدة دويلات آرامية ومن أشهرها : بيث زماني وعاصمتها آمد على نهر دجلة ، بيث بخياني في القسم الأعلى من نهر الخابور ، بيث حالوبي على مصب نهر الخابور ، وأخيراً بيث عديني (6) على الفرات الأوسط . وقد لعبت هذه الدولة الأخيرة دوراً كبيراً في الصمود أمام الجيش الآشوري سنة 855 ق.م حين سقطت المنطقة بأكملها تحت الاحتلال الآشوري . لكن هذه المنطقة بيث نهريين ظلت بأكثريتها الساحقة من الشعب السرياني - الآرامي وذلك واضح في النصوص التاريخية وخاصة الدور الكبير الذي لعبته بيث نهريين في ميادين العلم والأدب بين السريان الآراميين .

ورد في تاريخ مار يعقوب الرهاوي (7) :

"قدم من ارمينيا قادة إلى آمد مدينة أو عاصمة بيث نهريين"

ومن المعلوم أن مدينة آمد أو ديار بكر اليوم تقع على نهر دجلة .

فهل كانت حدود بيث نهريين الجغرافية تمتد إلى نهر دجلة ؟ ثانياً : التسمية الأكادية القديمة : للإجابة على السؤال الأخير ، سوف نحاول معرفة التسميات القديمة ل بيث نهريين ومدلولها الجغرافي . في مقالته المهمة mesopotamia اعتمد العالم j.j.finkelstein

على الكتابات الأكادية القديمة وذلك لمعرفة التسمية الأكادية التي أطلقت على بيث نهريين . وقد عثر على لوحات فخارية تذكر بأسماء بعض العبيد الذين قدموا إلى بابل من مدن (8)

تقع في بلاد mat biritim ki وفي كتابة أخرى birit narim . وقد اثبت العالم

finkelstein في بحثه أن هذه التسمية mat biritim والتسمية الثانية birit narim هما التسميتان الآكاديتان اللتان اطلقنا على بيث نهرين (9) قديماً . ومن المعلوم أن كلا التسميتان mat biritim و birit narim في اللغة الآكادية تعني "شبه جزيرة نهرية" أي الأرض التي يحيط بها النهر من 3 جهات . وقد استنتج العالم finkelstein الخلاصة التالية: " وفي النهاية ان تسمية mat biritim و birit narim اي mesopotamia في الأصل كانت تشمل المنطقة المحاطة بنهر الفرات من ثلاث جهات : وبالتالي فان هذه التسمية لا تشير الى نهر او رافد آخر" اذن نهر دجلة لم يكن يؤلف حدودا جغرافية مع بيث نهرين . . ولتأكيد هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية نلفت نظر القارئ الى انه مقابل هاتين التسميتين اللتين اطلقنا على بيث نهرين ، كانت تقابلهما تسميتان آكاديتان اطلقنا على سوريا القديمة وهما: mat ebirtim و eber narim وقد تم كشف تسمية ebirtim في الكتابات الملكية لمدينة ماري ، اما تسمية eber narim فهي مذكورة في التوراة والكتابات الفارسية القديمة . وقد أفادنا مؤخراً الباحثة السرياني "باسيل عكولا" (والمقيم في فرنسا) ، الى أن مدينة **ܩܝܢܘܢ** ، التي كانت المعبر الوحيد في التاريخ القديم على نهر الفرات . (تعرف اليوم باسم براجك) ، تتقارب اسماً ولفظاً مع التسمية الآكادية birtim . أكد العالم finkelstein في بحثه : - أن تسمية بيث نهرين قد أطلقت على شرقي نهر الفرات الأوسط . ب- ان تسمية بيث نهرين تكون قد امتدت (11) الى نهر دجلة في أيام الآراميين أو بعد دخول اليونان إلى الشرق . ج- ان التسميات الكنعانية والمصرية والعبرية لبيث نهرين كانت تعني نهرًا واحدًا (12) . وأخيراً فان ملاحظات finkelstein تناقض النتيجة والخلاصة التي ذكرها callaghan, o بأن تسمية بيث نهرين قد شملت كل المناطق الواقعة ما بين نهرى دجلة والفرات ، وأنها أطلقت على المنطقة بأكملها منذ الألف الثالث ق.م (13) ثالثاً: التسمية اليونانية mesopotamia بعد الانتصارات الباهرة التي حققها الاسكندر المقدوني على الفرس سنة 332 ق.م ، عمد إلى تقسيم امبراطوريته إلى عدة ولايات منها ولاية mesopotamia . بعد مئتي سنة تقريباً من دخول الاسكندر إلى الشرق، كتب المؤرخ arrien (14) : عن هذه التسمية ما يلي: "بالفعل ، من هذين النهرين الفرات ودجلة اللذين يحدان الجزء السوري بينهما قد جاءت تسمية mesopotamia التي يطلقها السكان على هذا الجزء" . وفي كتاب آخر للمؤرخ نفسه arrien15 نجد ما يلي : " ينبع نهر دجلة من أرمينيا ، يجتاز مدينة نينوى التي كانت كبيرة وعظيمة في الماضي البعيد، ثم يشكل مع الفرات المنطقة الواقعة بينهما والتي تسمى لهذا السبب mesopotamia . " لعل أقدم ذكر للتسمية اليونانية نجده في كتابات arrien نستنتج منها : أ - ان التسمية اليونانية مأخوذة من سكان المنطقة الآراميين . ب- ان سكان المنطقة الآراميين كانوا يستعملون ، بلغتهم السريانية الآرامية ، تسمية تعني (بين النهر) . ج- ان تسمية mesopotamia اليونانية تعني المنطقة الواقعة بين وضمن النهر . وهذه التسمية لا تعني بالضرورة وجود نهر ثان . د- ذكر arrien حرفياً : " ان نهر دجلة والفرات يؤلفان منطقة mesopotamia . " ه- هنالك بعض التناقض : التسمية اليونانية تعني "بين النهر" بينما المؤرخ يسمي نهرى دجلة والفرات؟ مما لا شك فيه أن arrien في ذكره نهر دجلة انما يقصد الجزء الأعلى منه ، وهذا واضح في خارطة الجغرافي بطليموس المرفقة (16) تحت رقم 2. اذ نلاحظ بكل وضوح ان بطليموس قد وضع mesopotamia في شرق الفرات الأوسط (محافظة الجزيرة في سوريا اليوم) ووضع سوريا في بلاد آرام القديمة . على اثر دخول الرومان الى الشرق واستيلائهم عليه ، اصبحت mesopotamia واقعة ضمن ممتلكاتهم ، رغم حروبهم الداشرة مع الفرس . والمقصود ب mesopotamia ، المنطقة الواقعة شرقي نهر الفرات الاوسط . كتب العالم GAgel17 ما يلي : " بقدر ما كانت سوريا الرومانية راسخة بالعادات السامية (الشرقية) ، تحت الستار اليوناني ، فانها مهدت للامبراطورية الرومانية في مجال التوسع نحو الشرق. وبمعنى آخر، اصبح اقليم mesopotamia يمتد بين الفرات الأوسط ودجلة . . . ووصلت (حدود mesopotamia) الى مدينة نصيبين العجيبة، حيث الشعب الآرامي يتعايش مع اليهود . . . " لا شك ايضاً ان نشوء دولة الأباجرة الآراميين بين نهرى الفرات والبليخ في المنطقة التي عرفت ب "اسوهين" قد خلق ارباكات جديدة بالنسبة الى تسمية mesopotamia : اذا كانت منطقة

- 2- ان التسمية اليونانية mesopotamia هي قريبة في تركيبها ومعناها من *mesopotamia* و *birit narim* الآكادية.
- 3- *mesopotamia* قريبة من التسمية المصرية القديمة *nhrn* التي كان يقصد بها نهر الفرات وحده . لعله من المهم جداً ، الإطلاع على الترجمة اليونانية للتوراة ، والتي تمت بمحدود اوائل القرن الثالث قبل الميلاد والمعروفة بالترجمة السبعينية. وخاصة في كيفية ترجمة التسمية العبرية *aram naharayim* اننا نرجح ان التسمية الآرامية *mesopotamia* أصبحت في اواخر القرن الثالث قبل الميلاد وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد ، تشمل نهر دجلة وذلك بسبب اتساع وكبر ولاية *mesopotamia* اليونانية .
- وصارت تكتب *mesopotamia* ويقصد بها المنطقة الواقعة بين النهرين.
- كتب *arrien* : " ومن هنا تسمية *mesopotamia* التي يعطيها السكان لهذا الجزء " وأخيراً رغم النصوص السريانية التي وردت فيها التسمية *mesopotamia* بمعنى المنطقة العليا الواقعة بين نهري دجلة والفرات ، فان المدلول الجغرافي لهذه التسمية ظل في حدود الجزيرة الخالية . وهذا واضح في النص التالي من قاموس ابن علي (24) :
- " *mesopotamia* : *mesopotamia* في كل بلاد ما بين النهرين : الرها وآمد وتل موزل " وهذه المدن تقع في الجزيرة وليس العراق .
- خامساً : اشكال المصطلح الجغرافي الحديث لتسمية " بين نهريين " : توجد حالياً ، عشرات الكتب والمقالات العلمية التي تعتمد تسمية *mesopotamia* كمصطلح جغرافي يقصد به البلدان الواقعة ما بين نهري دجلة والفرات ، اي العراق الحالي ومحافظه الجزيرة وقسماً من جنوب شرق تركيا . انه لمن المؤسف حقاً ، ان بعض العلماء صار يأخذ بهذا المصطلح وكأنه تسمية علمية (25) أطلق فعلاً على كل البلدان الواقعة بين نهري دجلة والفرات. وهذا مما خلق بالطبع بعض الإشكالات حول هذه التسمية :
- أ- الإشكالات التاريخية :
- أقام الأرمن مؤخراً ، معرضاً لهم في مبنى السوربون في باريس عن ملوك كيليكيا الأرمن . وقد علقوا عدة خرائط من القرن الثالث عشر والسابع عشر ميلادي ، وظهرت فيها *mesopotamia* في موقعها الجغرافي الصحيح " الجزيرة " . لكن في الخرائط التي رسموها لتوضيح حدود دولتهم الأرمنية ، نراهم يضعون *mesopotamia* في وسط العراق . (وهذا مخالف للحقائق العلمية).
- عندما احتل المصريون منطقة *nhren* ، فانهم قد احتلوا المنطقة الواقعة شرقي نهر الفرات الأوسط وليس العراق الحالي . وكذلك فان الرها عاصمة بين نهريين اي الجزيرة وليس كل المناطق الواقعة في العراق . وكذلك أيضاً فقد كان لمطران آمد ، السلطة الدينية على ولاية *mesopotamia* الرومانية أي المنطقة الواقعة بين نهري الخابور ودجلة وليس على كل المناطق التي تسمى اليوم بلاد ما بين النهرين .
- ب- الإشكالات الجغرافية :
- لم تكن هنالك وحدة جغرافية في الواقع ، للمناطق الواقعة ما بين نهري دجلة والفرات حيث لم ترد ولا اشارة واحدة الى تسمية *mat biritim* أو *birit narim* أو *mesopotamia* في الكتابات الآكادية ، كمصطلح يقصد به العراق الحالي . لأن التسميات الجغرافية ، في ذلك الوقت ، كانت تطلق على بلاد سومر وآكاد وفيما بعد بابل وآشور .
- بعد دخول اليونان الى الشرق ، ظلت تسمية *mesopotamia* وبيت نهريين ، تطلق على الجزيرة وتسمية " بيت آرامي *mesopotamia* " على العراق .
- ان ادخال صفة " العليا " على تسمية *mesopotamia* في كتاب *ghancalla* وكتاب *dill mann* هي محاولة فاشلة للتهرب من الواقع التاريخي والجغرافي . ان تسمية *mesopotamia* السفلى تعبير خاطئ
- ج- الإشكالات القومية :
- يردد العراقيون بأن بلاد ما بين النهرين هي العراق الحالي . ومن المؤسف أن القسم الأعلى من الجزيرة الموجود حالياً ضمن تركيا ، قد غابت عنه التسمية الجغرافية بيت نهريين ، بعد أن قررت حدود دول منطقة الشرق الأوسط ، في بداية هذا القرن ، طبقاً لمعاهدة " سايكس - بيكو " عام 1916 .
- وقد ترك الجزء العلوي من الجزيرة الى تركيا . وكان الأتراك (26) قد فتكوا بالشعب الأرمني والسرياني في هذه المنطقة ، حيث قدر عدد ضحايا السريان فقط بأكثر من مئة ألف قتيل . وقد أجبر أهالي هذه المنطقة على النزوح تحت ضغط الأتراك السفاحين ، بعد انسحاب الفرنسيين .
- لقد استفاد الأتراك ولا شك ، من تعميم تسمية *mesopotamia* على العراق ، بأن استطاعوا " تزريك " المنطقة بكل سهولة .
- الغريب ان الكثير من السريان اليوم يظن بأن *mesopotamia* هي بلاد " ما بين النهرين " أي العراق . اننا نلاحظ عند السريان الشرقيين المنادين بالقومية الآشورية فأناشيدهم

- القومية تجدد "بيث نهرين" وان لديهم أحزاباً ومجلات بهذه التسمية أيضاً وصاروا يعتقدون بأن تسمية بيث نهرين هي تسمية آشورية لبلادهم. وخلاصة هذه الخفايا هي:
- ان تسمية "بيث نهرين" هي تسمية آرامية سريانية ، دون أي شك لبلاد آرامية سريانية صرفة ، لعبت دوراً كبيراً في حضارة الشرق.
- نأمل من العلماء والباحثين أن يدركوا هذا كله ، وأن يعمدوا الى استعمال تسمية "بيث نهرين" دائماً كمرادف للجزيرة وليس كمصطلح عام يقصد به العراق .
- وأخيراً ، نأمل من الشعب السرياني الآرامي ، عدم التخلي عن التسمية الآرامية " بيث نهرين" لأنها جزء رئيسي منه ، حيث تربطه بإحدى أهم مناطق تاريخه الحضاري وجذوره الحقيقية.....
- يوجد هنا مصورات جغرافية (الخارطة (1) وهي من وضع العالم J. Finkelstein الخارطة (2) وهي من وضع العالم الجغرافي بطليموس.
- الخارطة (3) وهي من وضع العالم Dillman الخارطة (4) وهي من وضع العالم Dillman
- المراجع والمصادر :
- 1-Contenu, (g) religions de l'Asie occidentale ancienne, p. 77.
- 2-نقصد أن تسمية "بيث نهرين" لم تكن تعني تاريخياً أو جغرافياً بلاد سومر وآكاد.
- 3-Callaghan, (r) Analecta Orientalia: Aram Naharaim in, p. 26, 5.
- 4-lbid, p. 136.
- 5-lbid, p. 143.
- 6-Bordreuil, (p) Les Papyrus Arameens de Syrie, dans: memoire et civilisation, p. 252.
- 7-تاريخ مار يعقوب الرهاوي. النص السرياني في 315.p, brooks.ed. 5, syr 5-t, o.c.s.c
- 8-finkelstein, (j) Near Eastern Studies Journal, in: Mesopotamia, p. 77, 12, 1962.vol
- 9-lbid, p. 78.
- 10-lbid, p. 82.
- 11-lbid, p. 88.
- 12-lbid, p. 79.
- 13-Callaghan, (o) p. 147.
- 14-Arrien, (l) Livre VII - Anabase d'Alexandre le Grand, p. 7.
- 15-Arrien, (L) Livre XLII, p. 3.
- 16-هذه الخارطة موجودة في مكتبة الفاتيكان. وقد نشرت مجلة "Le Figaro" في العدد 11998 صورة عن هذه الخارطة.
- 17-Gage, (j) La Montee des Sassanides, (L) Dillmann, p. 93, 1964, Paris.
- 18-Mesopotamie orientale, p. 23, 1962.
- 19-lbid, p. 31.
- 20-Smith, (T) Thesaurus Syriacus, col. 2301, II.
- 21-النص السرياني ورد في o.c.s.c. 112.
- 22-Elie, (E) Enque de Nisibe Chronologie, p. 142.
- 24-قاموس "ابن سميث" العامود (470) نقلا عن "ابن علي 25-لقد اتضح لنا ، من خلال هذه الدراسة ، كيف بدأ العلماء في استعمال تسمية "مسوبوتاميا" كصفة مشتركة للشعوب التي سكنت العراق. حالياً هناك بعض العلماء الذين يعتمدون هذه التسمية، كتسمية تاريخية وجغرافية أطلقت بالفعل على العراق. من المؤسف جداً أن تسمية مسوبوتاميا تكاد تصبح مرادفة لتسمية العراق الحالي مع ان البراهين التاريخية والجغرافية على السواء ، تثبت بجلاء ويوضح ان هذه التسمية اطلقت على الجزيرة فقط دون غيرها.
- 26- كان عدد السريان في منطقة مسوبوتاميا المحتلة حالياً من الاتراك ، في بداية هذا القرن من مئتي ألف نسمة. ولولا المذابح التي تعرضوا لها وحركات التهجير القسرية ، لكان عدد السريان الاراميين فيها اليوم أكثر من مليوني نسمة.
- انه من المؤسف حقاً ، ان الاوروبيين "المتمدنين" لا يريدون ان يعرفوا لماذا كنانيس: الرها وآمد وحران مغلقة.
- من مجلة آرام